الوحدة الثانية

القرآن الكريم والسنة النبويّة

إعداد
د. موسى معطان د. منى رفعت

بسم الله الرحمن الرحيم

أوّلاً: القرآن الكريم

وتشتمل هذه الوحدة على العناوين التالية:

١- تعريف القرآن الكريم.

٢- نزول القرآن الكريم.

٣- جمع القرآن الكريم.

٤- تفسير القرآن الكريم.

٥- ترجمة القرآن الكريم.

٦- إعجاز القرآن.

الأهداف التعليميّة

1. إثـراء معلومـات الطلبـة حـول القـرآن الكـريم، بوصفه المصدر الأول للثقافة الإسلامية.
2. أن يتعرف الطلبة على كيفيّة نزول القرآن الكريم وحكمة ذلك.
3. أن يتتبع الطلبة جهود السلف الصالح في جمع القرآن الكريم ومنهاجهم العلمي في ذلك.
4. أن يتعرف الطلبة على المقصود بتفسير القرآن وترجمته.
5. أن يناقش الطلبة وجوه الإعجاز في القرآن ليقفوا على مواضع الإبداع فيها.

Dr Maurice Bucaille

قال د. موريس بوكاي الطبيب والعالم الفرنسي المعروف :

" لقد أثارت الجوانب العلميّة التي يختصّ بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكانيّة اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحدّ من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوّع ومطابقتها تماماً للمعارف العلميّة الحديثة، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. في البداية لم يكن لي أيّ إيمان بالإسلام، وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كلّ حكم مسبق وبموضوعيّة تامة. "

The Bible, the Quran & Science

كتابه الشهير: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم

أوّلا: تعريف القرآن الكريم

يُعرف القرآن الكريم بأنه :

« كلام الله تعالى ، المنزّل على محمد ﷺ ، باللفظ العربي، المعجِز، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس » .

- وهو المصدر الأساس للتشريع الإسلامي، وفيه هدى للناس ورحمة، وهو ينبوع الحكمة، ومصدر الخير، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق على كثرة الرد.
- وهو هدى الله تعالى للعالمين:

١- أنقذ البشريّة من ظلمات الشرك والوثنيّة إلى نور التوحيد.

٢- ونقلها من التقليد والجمود إلى التحرر العقلي والتفكير الحرّ.

٣- ودعا إلى المساواة والعدل بين البشر، ونبذ التمييز والعدوان والظلم.

٤- وأنشأ جيلاً فريداً، نشر الحق والخير والعدل في كلّ مكان.

وممّا يدلّ على أنّ القرآن الكريم من الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ

١- المعهود من سيرته ﷺ عند العرب أنه كان يتميز بالصدق والأمانة، فما كان ليترك الخيانة والكذب على الناس، ويكذب على الله تعالى.

٢- لو كان القرآن من عند النبي ﷺ لنسبه إلى نفسه، وكفاه فخراً أن ينسب إلى نفسه ما عجز العرب والإنس والجن جميعاً عن الاتيان بسورة من مثله.

٣- نقل المسلمون عن النبي ﷺ القرآن الكريم كما نقلوا عنه أحاديثه الشريفة، ولا يصعب على أيّ إنسان أن يتبيّن الفروق الكبيرة بين الكلامين، من حيث الأسلوب والبلاغة والإعجاز، فلو كان القرآن الكريم من عند النبي ﷺ لما نزلت أحاديثه في الرتبة عن رتبة القرآن الكريم، ولما افترق كلامه على درجتين متفاوتتين هذا التفاوت الكبير.

٤- حوى القرآن الكريم أنواعاً كثيرة من الإعجاز، كالإعجاز البياني والإعجاز العلمي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، وهي إعجازات لا يقدر على الإتيان بمثلها محمد ﷺ ولا غيره من البشر.

وممّا يدلّ على أنّ القرآن الكريم من الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ

٥- ورد في القرآن الكريم بعض آيات العتاب الشديد للنبي ﷺ، ولو كان القرآن الكريم من عند النبي ﷺ لما ضمّنه هذا العتاب، لأنّ الإنسان لا يعاتب نفسه أمام الناس ولا يعلن لهم أخطاءه بهذا الأسلوب الشديد في اللوم والعتاب، ومن أمثلة ذلك :

١- معاتبته ﷺ في قبول الفداء من أسرى بدر .

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾ الأنفال: ٦٧

٢- ومعاتبته لإعراضه عن عبدالله بن أم مكتوم الأعمى، حيث انشغل النبي ﷺ عنه بنفر من زعماء قريش يدعوهم إلى الإسلام.

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ ﴾

عبس: ١ - ١٠

ثانياً: نزول القرآن الكريم

❖ بدأ نزول القرآن الكريم بوساطة الملك جبريل عليه السلام على قلب النبي محمد ﷺ في ليلة القدر.

❖ ثمّ استمر بالنزول المتدرّج حسب الحوادث على مدار ثلاث وعشرين سنة.

الفاصل بين المكي والمدني هو الحد الزماني المتمثّل بالهجرة ولا عبرة بالمكان.
فما نزل بعد الهجرة هو قرآن مدني ولو نزل في مكة، وما نزل قبل الهجرة هو قرآن مكي ولو لم ينزل في مكة.

مكي
قبل الهجرة ولو لم ينزل في مكة
١٣ سنة

مدني
بعد الهجرة ولو لم ينزل في المدينة
١٠ سنوات

٢- **الحديث عن العقيدة** (كالدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده والبعث والجزاء) **والأخلاق الأساسية** (كالوفاء بالعهود والبعد عن الفواحش)

٣- بناء نفس مؤمنة تسارع إلى التزام الأحكام العمليّة.
(مرحلة تأسيس)

٤- اتصفت آياتها بالقصر.

٢- **الحديث التفصيلي عن التشريعات والتكليفات العملية**، (كالمعاملات المالية والعقوبات).

٣- تشريع الأحكام العملية يقتضي وجود دولة تطبقها.
(مرحلة بناء الدولة)

٤-اتصفت آياتها بالطول.

حكمة نزول القرآن الكريم بالتدريج

استشكل الكفار قديماً نزول القرآن الكريم **منجّماً** (أي بالتدريج)، وزعموا انه لو كان من عند الله تعالى لنزل دفعة واحدة ، لانّ الله تعالى قادر على ذلك، بخلاف الإنسان الذي يحتاج إلى وقت قد يطول أو يقصر إذا ما رام تأليف كتاب، فرد الله تعالى هذه الشبهة ببيان حكمتين رئيسيتين لنزوله منجّماً:

١- تثبيت النبي ﷺ وصحابته الكرام

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

٢- التدرّج في التغيير والتعليم

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا

حكمة نزول القرآن الكريم بالتدريج

أوّلاً : تثبيت النبي ﷺ وصحابته الكرام

فكلّما واجه النبي ﷺ وصحابته الكرام مِحنة أو أذى من المشركين، نزلت آيات من القرآن الكريم تعلّمهم:

١- أنّ الله تعالى معهم ولن يخذلهم.

٢- وأنّ الابتلاء والأذى الذي يلاقيه الأنبياء والدعاة سنّة إلهية.

٣- وأنّ أُمَماً كثيرة قبل قريش قد آذت أنبياءها ومن آمن معهم، وأخذهم الله تعالى بالعذاب ونصر أنبياءه.

النتيجة: تقوى بذلك عزيمة النبي ﷺ وصحابته الكرام، ويخفّف ذلك عنه وعنهم، كما قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ الفرقان: ٣٢

حكمة نزول القرآن الكريم بالتدريج

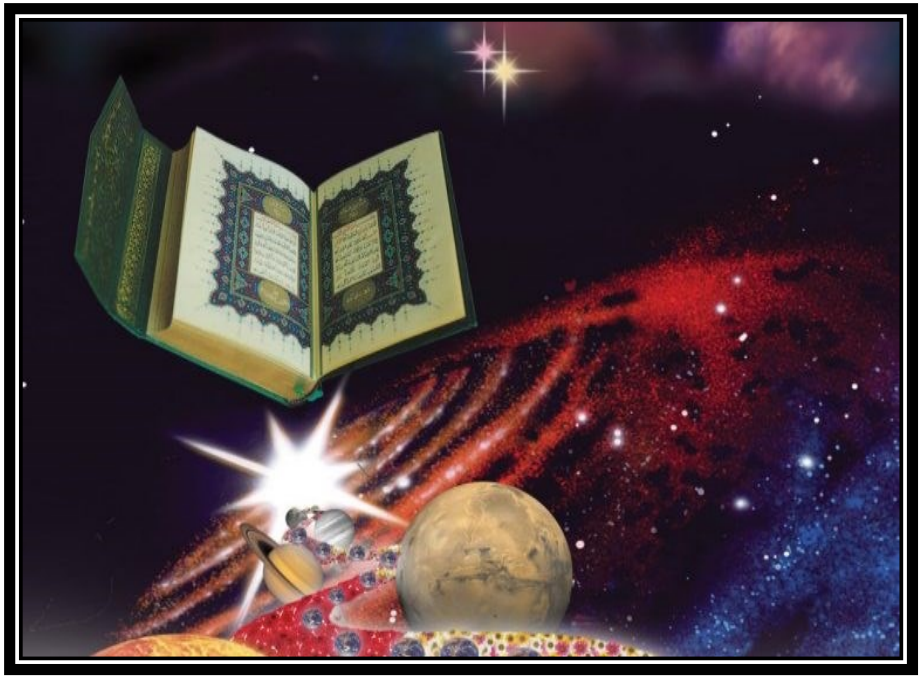

ثانياً: التدرج في التغيير والتعليم

١- إنّ تغيير كل ما كان عليه الناس في الجاهلية دفعة واحدة، من عقائد فاسدة وعادات اجتماعية سيئة **أمر يشقّ على النفوس، وربّما يؤدي إلى رفض الاسلام كلّه**؛ لأنّ تلك العقائد والعادات كانت متأصّلة في النفوس، نشأ عليها الناس وألفوها، **فاقتضت الحكمة أن يغيّر الله تعالى هذه الاعتقادات والعادات بالتدريج ليسهل تركها وتغييرها**، فكلّما حدثت حادثة نزل الحكم فيها.

٢- وذلك أيضاً يسهّل من تعلّم المسلمين في ذلك الوقت للقرآن وحفظه وفهمه وتطبيقه. قال تعالى:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

الإسراء: ١٠٦

القرآن الكريم منقول بالتواتر وبرواية العامة

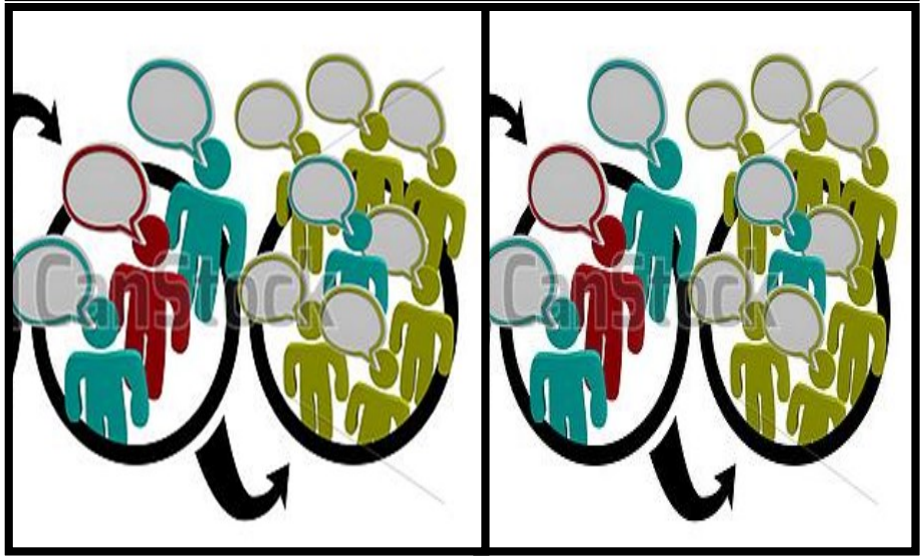

معنى قولنا: تمّ نقل القرآن الكريم عبر العصور بطريق التواتر، بل وبرواية العامة عن العامة (أي الأمة عن الأمة):

« أنّه نقله عدد هائل من الناس في جيل، عن عدد هائل من الناس في الجيل الذي قبلهم، وهؤلاء نقلوه عن عدد هائل من الناس في الجيل الذي قبلهم، وهكذا، إلى أن نصل إلى جيل التابعين، الذين نقلوه عن جيل الصحابة (رضي الله عنهم) ثمّ لا يُخطئ أفراد جيل من المسلمين، على كثرتهم وتباعدهم، في نقل حرف منه» .

القرآن الذي في صدورنا وفي المصاحف التي بين أيدينا هو كما أنزل على محمد ﷺ لم يتغيّر منه حرف أو حركة، ولم تحرّف فيه كلمة واحدة.

بعض الناس قد يشكك أو قد يخطر في باله أنّ القرآن الكريم ربّما حرّف أو غيّر فيه ؟؟؟؟؟؟؟؟

الردّ:

١- هؤلاء لا يدركون حقيقة أن نقل الأخبار والألفاظ بطريق التواتر يفيد العلم اليقيني والقطع بصحة المنقول.

٢- لتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي:

- لو أنه جاءك شخص يخبرك أنه رأى شخصاً معيّناً في مكان معيّن وبتاريخ ووقت محدّدين فإنك قد تصدقه وقد تكذّبه.
- ثم إذا أتاك شخص آخر يخبرك بمثل ما أخبرك به الأول وبالتفاصيل ذاتها (وهما لا يعرف كل منهما الآخر لتقول إنّ الأول قد أخبره) فإنك ستزداد ثقة بصحّة ما أخبر به الأول.

تخيّل أنّه تتابع على تأييد الأول والثاني ألوف الأشخاص، كلهم يخبرونك بالخبر ذاته وبالتفاصيل ذاتها ⟸ إنك عندئذ ستحكم قطعاً بصدق ما أخبرك به هذا الجمع الكبير من الناس، لأنه لا يمكن أن يكون صدفة اجتماع مثل هذا العدد الكبير من الناس، والذين لا يعرف بعضهم بعضاً على الإخبار بالخبر نفسه وبتفاصيل دقيقة ومتطابقة، ثم لا يكون ما أخبروا به صحيحاً.

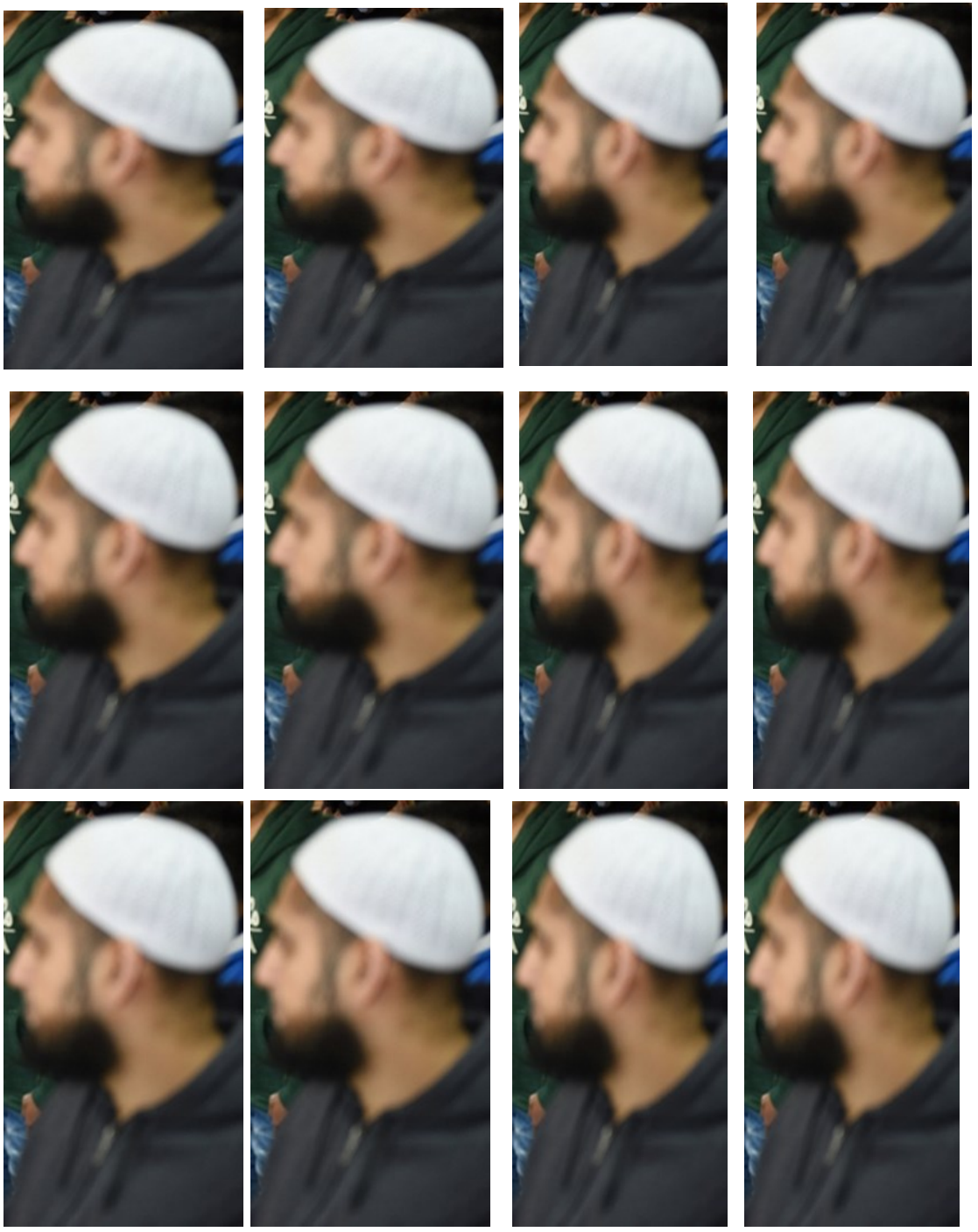

إذا أنكر شخص دولة تشاد مثلاً، وأكدّ لنا أن كل الأخبار والصور عن وجودها كاذبة، فإننا نستهجن كلامه ونتهمه بالهذيان، مع أننا قد لا نكون زرنا هذا البلد ولا رأيناه، فما مصدر قطعنا بوجوده ؟؟؟؟

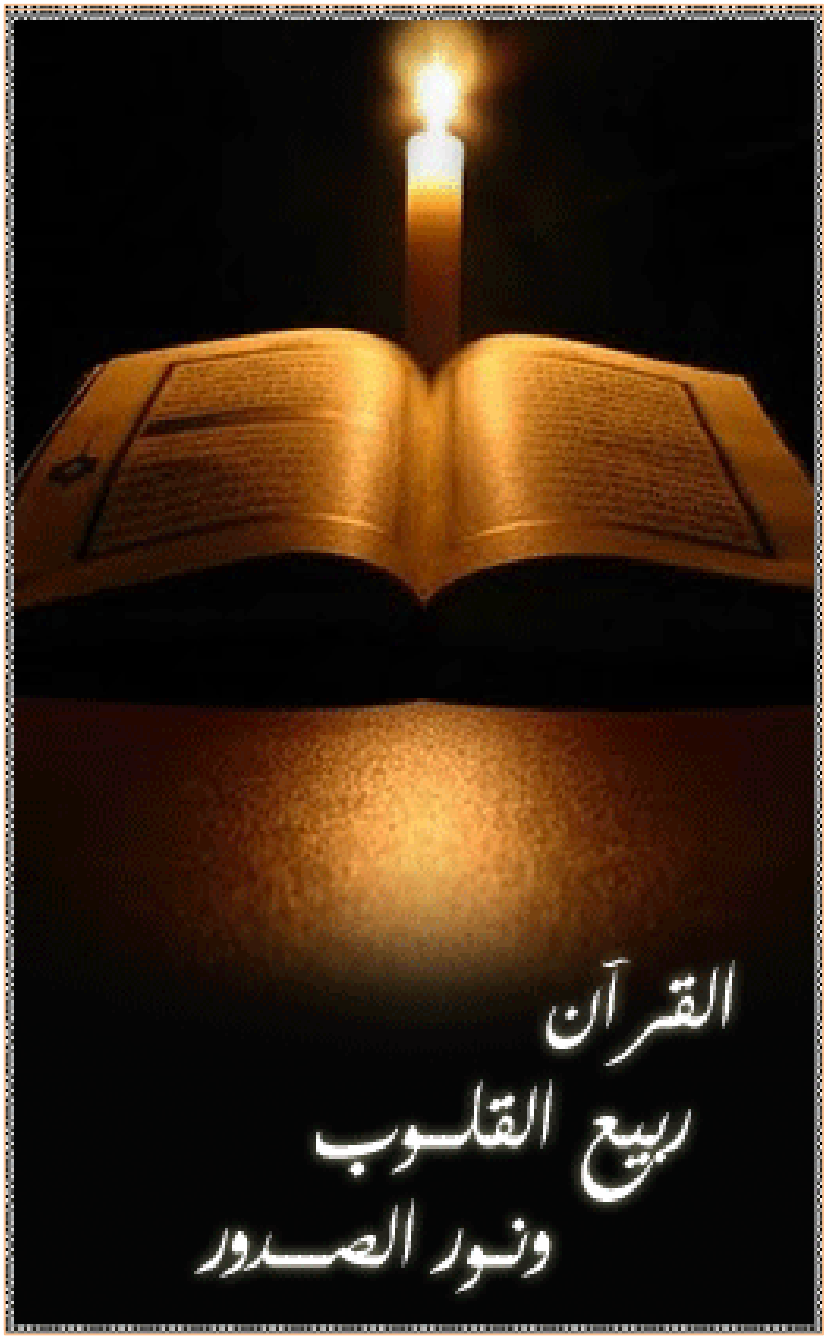

وهكذا القرآن الكريم ...

نقل كل حرف وكل كلمة منه وكل حركة فيه، آلاف مؤلفة من الصحابة رضي الله عنهم، وآلاف مؤلفة من كلّ جيل بعدهم في كلّ عصر.

١- بالكيفيّة نفسها.

٢- وبالتفاصيل والحروف والحركات والكلمات والآيات والسور والقراءات ذاتها.

٣- لا يختلف اثنان من أيّ جيل وفي أيّ عصر في شيء من ذلك، فالعقل يحكم قطعاً بأنّه هكذا نزل دون أيّ تغيير أو تحريف.

ثالثاً: جمع القرآن الكريم

- معنى الجمع في اللغة: الحفظ
- والجمع نوعان :

١- جمع في الصدور

٢- وجمع في السطور

جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ

كان الصحابة يتلقّفون كل ما ينزل من القرآن الكريم ويتعهدونه بالحفظ والترتيل، وكان النبي ﷺ يأمر بعض أصحابه بكتابة ما ينزل، وعُرف هؤلاء بـ « كتبة الوحي»، ومنهم: الخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب.

وكان كلّ منهم يحتفظ بنسخة لنفسه مما يكتبه، وتوفي النبي ﷺ والقرآن الكريم محفوظ في الصدور، متفرّق في نسخ مكتوبة، إلى أن قام الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ بجمعه كتابةً في مصحف واحد، بأمر من رئيس الدولة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم نسخ في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أفكّر:

١- كان كتبة الوحي معدودين، بينما كان حفّاظ القرآن الكريم آلافاً مؤلّفة، لماذا؟

٢- لماذا لم يجمع النبي ﷺ القرآن الكريم في مصحف واحد في حياته؟

الجمع الأول للقرآن الكريم

- كان الجمع الأول للقرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وقد كثر القتل في الصحابة رضي الله عنهم في **حروب الردّة**، وخاصة القراء منهم.
- فخشي عمر رضي الله عنه ضياع القرآن الكريم بذهاب حفاظه ، فأشار على أبي بكر رضي الله عنه أن يجمعه في مصحف واحد ، وأنّ يرتّب سوره وآياته حسب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ترتيبها ويعلم صحابته حفظها.
- وبعد تردد، وافق أبو بكر على اقتراح عمر وشكّل لجنة علميّة من الصحابة ترأسها زيد بن ثابت رضي الله عنه.

الجمع الأول للقرآن الكريم

- وقام أعضاء اللجنة بعملٍ مضنٍ حيث:

١- طلبوا نسخ كتبة الوحي التي تفرّق القرآن الكريم فيها مكتوباً.

٢- وطلبوا مجيء حفّاظ القرآن الكريم عن ظهر قلب.

٣- وقابلوا النسخ بعضها ببعض، وقابلوا ذلك كلّه بحفظ الحفاظ، وتوثّقوا من طريقة كتابة كلّ كلمة وحرف، إلى أن أنجزوا عملهم بكتابة القرآن الكريم جميعه في مصحف واحد.

٤- وقد أودعَ ذلك المصحفُ عند أبي بكر ثمّ انتقل بعد وفاته إلى عمر، وبعد وفاة عمر بقي عند ابنته حفصة زوج النبي ﷺ، وظلّ عند حفصة إلى أن طلبه عثمان ليقوم بالجمع الثاني، رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم.

الجمع الثاني للقرآن الكريم

الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

عندما انتشر الإسلام في الآفاق، ودخلت فيه أمم كثيرة، قدم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي كان يشارك في الفتوحات حينها، على الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وأخبره بما رآه من اختلاف الناس حديثي العهد بالإسلام في أطراف الدولة في القراءة، وخاصة منهم الشعوب التي دخلت في الإسلام من غير العرب، قائلاً له:

« يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى».

الجمع الثاني للقرآن الكريم

وعن تلك النسخ التي أرسلها عثمان إلى الآفاق، نسخ الناس نسخهم إلى يومنا هذا، ولذلك يُشار إلى المصاحف المنتشرة في العالم الإسلامي اليوم، على أنها مكتوبة « بالرسم العثماني » . والطرق التي أرسل القراء بتعليمها للناس هي الطرق التي لا نزال نقرأ بها إلى اليوم .

استنتج: ما الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان (رضي الله عنهما) ؟

الجمع الأول للقرآن الكريم

في عهد: أبي بكر الصديق ﷺ .
الدافع: حروب الردة واستشهاد عدد كبير من حفظة القرآن الكريم.
العمل المنجز: كتابة القرآن جميعه في مصحف واحد.
الذي أشار بهذا العمل: عمر بن الخطاب ﷺ.

الجمع الثاني للقرآن الكريم

في عهد: عثمان بن عفان ﷺ.
الدافع: اتساع رقعة دولة الخلافة واختلاف الناس حديثي العهد بالإسلام في أطراف الدولة في القراءة.
العمل المنجز: نسخ عدة نسخ عن المصحف بالرسم العثماني وارسال نسخة إلى كل طرف من أطراف الدولة الإسلامية، وحرق النسخ الشخصية مخافة وجود نقص فيها أو خلل.
الذي أشار بهذا العمل: حذيفة بن اليمان ﷺ

رابعاً: تفسير القرآن الكريم

لم يفسّر الرسول ﷺ كلّ القرآن الكريم، إنّما ورد عنه تفسير بعض آياته، وذلك كي:

١- يتيح المجال لمن بعده أن يتدبّروه ويستخرجوا كنوزه في كلّ عصر من عصورهم، ولو فسّره النبي ﷺ لتوقّف المسلمون عند حدود تفسيره لا يتجاوزونه. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ (ص، ٢٩)

٢- فضلاً على أنّ مدلول النص القرآني لا يمكن أن يحيط به أحد من البشر، ولا أن يحدّه تفسير مهما كان ضخماً ، وفي كلّ عصر يكتشف المسلمون شيئاً لم يكن كشفه السابقون، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ (الكهف، ١٠٩)

- **فقد اهتمّ العلماء عبر العصور بتوضيح معاني القرآن الكريم وكشف أسراره، وهكذا ظهر « علم التفسير» وتطوّر حتى صار من أهم العلوم.**
- **ولم يتوقف التفسير عند عصر محدد ولا جيل معيّن، بل ظهرت تفسيرات جديدة للقرآن الكريم في كلّ عصر منذ بداية التدوين والنهضة العلميّة للمسلمين وحتى عصرنا الحديث.**

ومن أشهر كتب التفسير القديمة

١- تفسير الطبري المسمّى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » لابن جرير الطبري، وهو أوّل تفسير كامل مكتوب للقرآن الكريم ، ولذلك يلقّب الطبري بـِ « شيخ المفسّرين ».

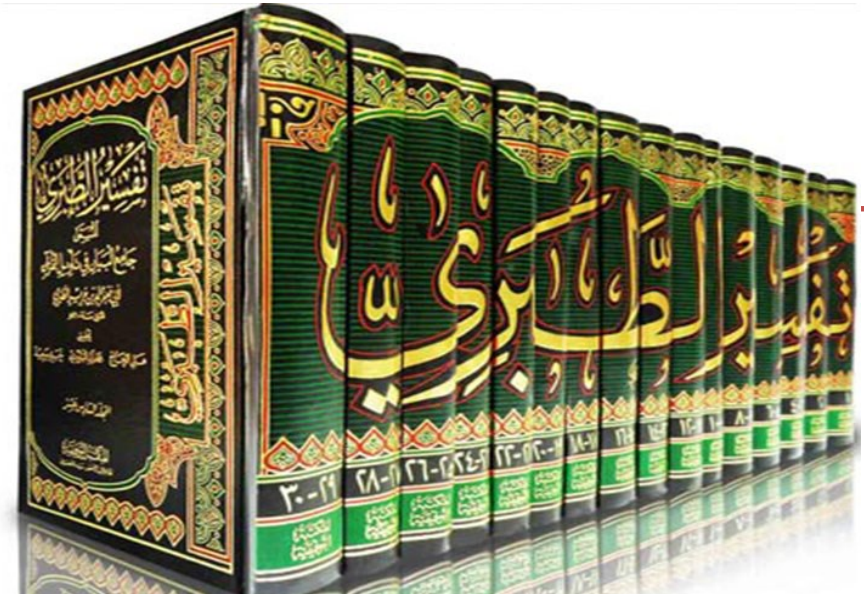

٢- تفسير الزمخشري المسمى « الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» وهو من أعظم كتب التفسير التي تميّزت بإبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

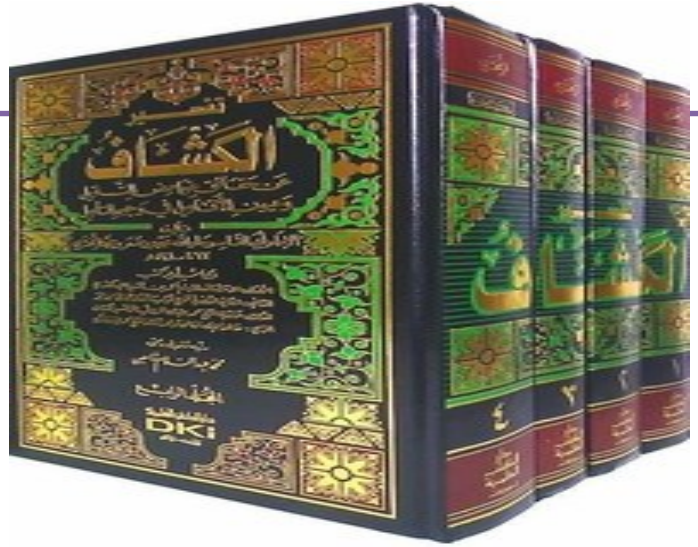

ومن أشهر كتب التفسير القديمة

٣- تفسير الرازي المسمّى « مفاتيح الغيب » أو « التفسير الكبير»، وهو من أعظم كتب التفسير المطوّلة والتي عنيت بجمع أقوال العلماء في تفسير كل آية وببيان ما تتضمنه الآية من مسائل عقلية ودينيّة وفلسفيّة وغيرها.

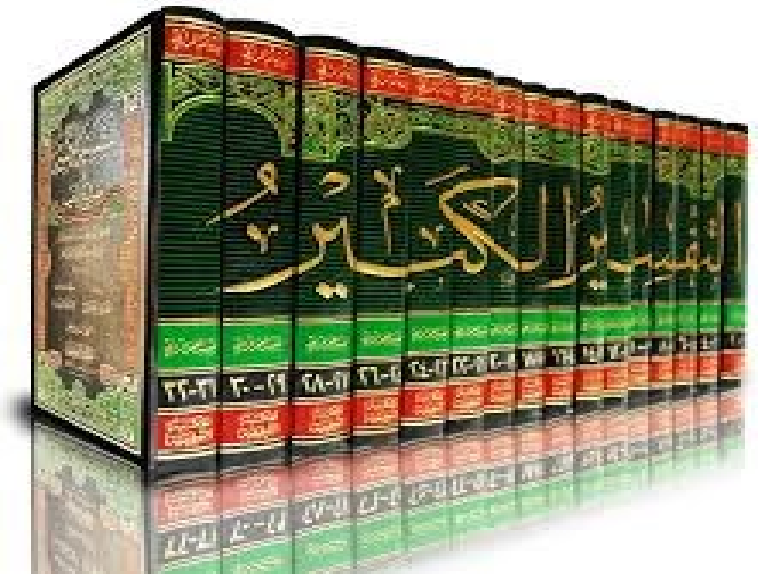

٤- تفسير ابن كثير المسمّى « تفسير القرآن العظيم» ، وهو من كتب التفسير التي تميّزت بسهولة العبارة وعدم الإطالة.

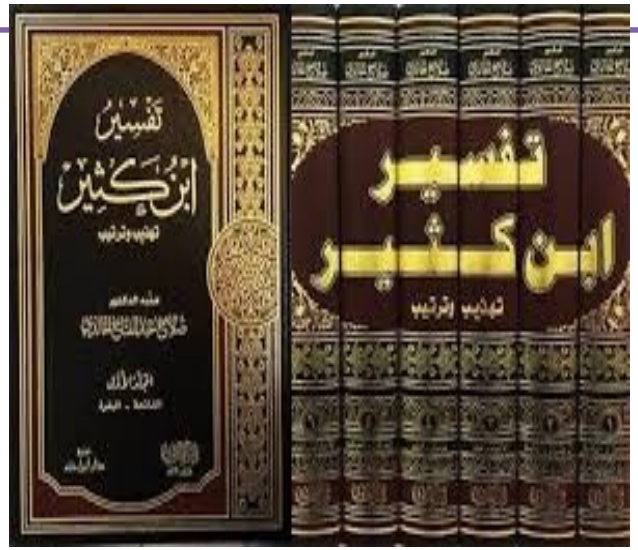

ومن أشهر كتب التفسير الحديثة

١- تفسير « التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور. (رحمه الله)

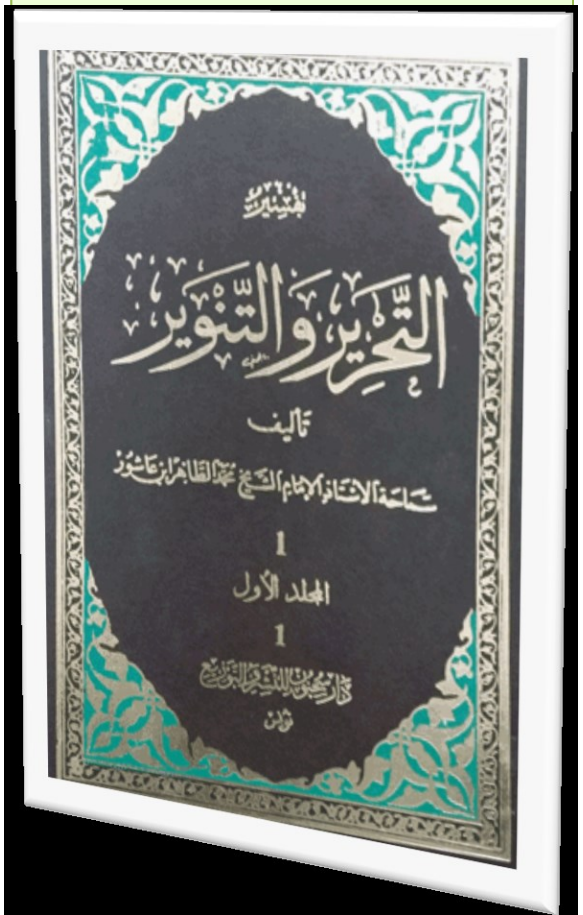

٢- تفسير « الأساس في التفسير » لسعيد حوى. (رحمه الله)

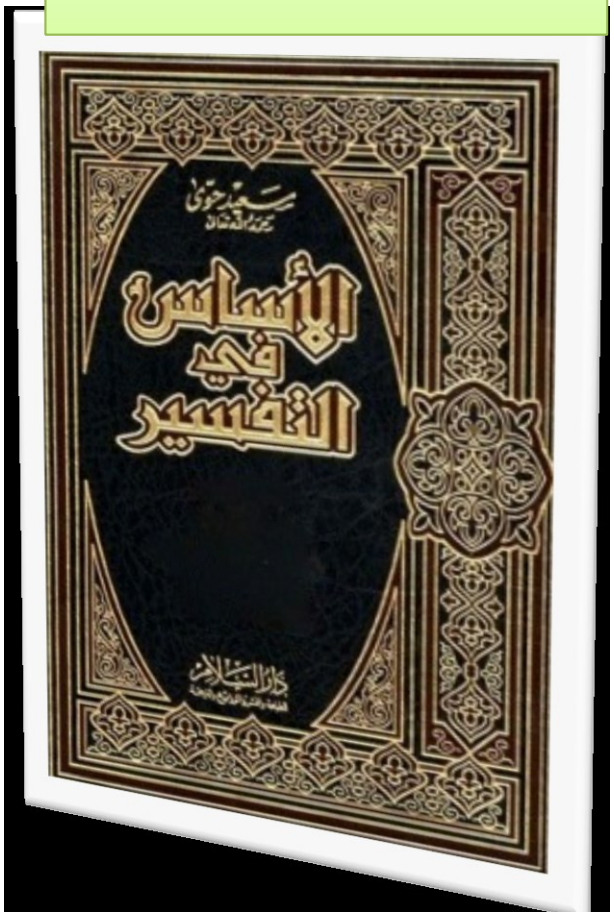

٣- تفسير « في ظلال القرآن » لسيد قطب. (رحمه الله)

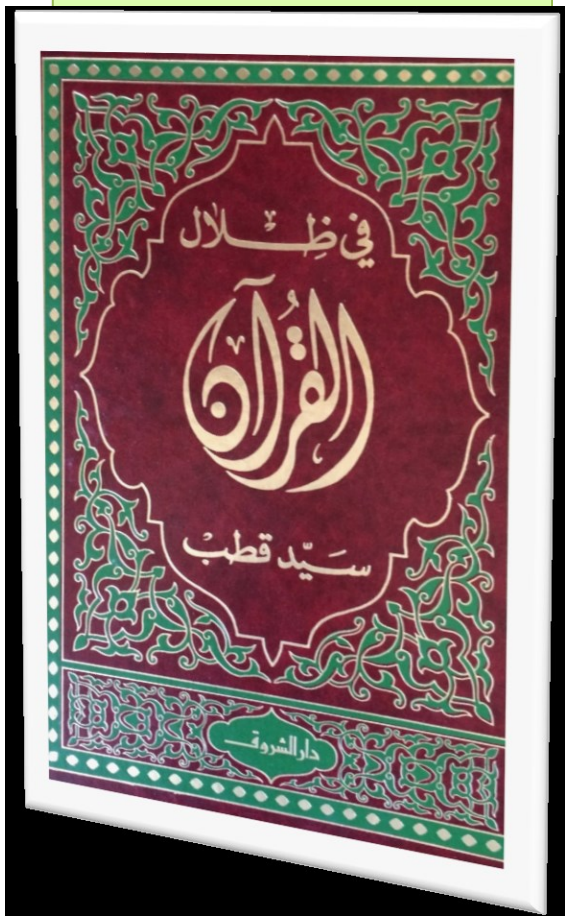

قواعد في الفهم السليم للقرآن الكريم

التزام قواعد اللغة العربية و دلالاتها	تفسير القرآن بالقرآن	تفسير القرآن بصحيح السنة
مراعاة السياق	ملاحظة أسباب النزول	الحذر من الإسرائيليات

القاعدة الأولى:
التزام قواعد اللغة العربية ودلالتها

يجب تفسير الآيات وَفق دلالات اللغة العربية الفصيحة، وعدم تفسيرها خارج ما تحتمله دلالات اللغة، فقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

١- أنه ينبغي مراعاة دلالات الألفاظ كما كانت في عصر نزول القرآن فيما يتعلّق بالمفردات التي تغيّرت دلالتها.

٢- أنه لا بدّ من البعد عن التكلّف والتعسف في فهم الآيات وتأويلها تأويلاً فاسداً لتتناسب مع مفاهيم يرى الشخص صحّتها. والوقف السليم يتمثّل في التزام فهم الآيات كما هي وَفق دلالات اللغة العربية البيّنة من غير تكلّف بعيد ولا تأويل فاسد.

فكلمة « سائحات» مثلاً لا تعني مفهوم السياحة في عصرنا.

مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات

وكلمة « سيّارة» لا تعني ما تدل عليه اليوم، وهكذا.

« وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه »

القاعدة الثانية:
تفسير القرآن بالقرآن

- معناه: جمع الآيات حول الموضوع الواحد من شتى سور القرآن لتشكيل تصوّر قرآني شامل عن الموضوع الواحد قبل الحديث فيه.
- ذلك أنّ الصورة المجزوءة قد لا تساعد في إعطاء تفسير صحيح ولا حكم سليم. ومعلوم أنّ القضيّة الواحدة قد يتناولها القرآن في أكثر من موضع فيه حسب الحاجة.

القاعدة الثالثة:
تفسير القرآن بصحيح السنة

- وذلك بالاعتماد على الأحاديث الصحيحة دون الأحاديث الضعيفة والموضوعة.
- وإدخال الحديث المشكوك في صحّته إلى التفسير وحمل كلام الله تعالى عليه، يشكّل إساءة بالغة لكلام الله تعالى وانتقاصاً لهيبته وتحريفاً لمعانيه من مراد الله تعالى إلى كلام تناقله البشر ولا وجه لصحته.

القاعدة الرابعة:
مراعاة السياق

- معناه: أنه يختلف المعنى أحياناً باختلاف السياق الذي ورد فيه، وبالتالي لا بدّ من ملاحظة سياق الآية لتحديد المعنى الصحيح لها.
- وعلى سبيل المثال قوله تعالى: « وليس الذكر كالأنثى» قد يُفهم منه خطأ التمييز بين الذكر والأنثى، وليس الأمر كذلك، إذ بالرجوع إلى السياق يتبيّن أنّ المقصود : ليس الذكر كالأنثى في غرض خاص، يتعلق بنذر المولود لخدمة دور العبادة والعابدين فيها.

القاعدة الخامسة:
ملاحظة أسباب النزول

- معناه: ملاحظة الوقائع أو الأحداث التي نزلت فيها بعض الآيات، وذلك يساعد كثيراً في الوصول إلى المعنى الصحيح لتلك الآيات.
- ومثال ذلك قوله تعالى: « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما» وقد يُفهم منه خطأ أن السعي بين الصفا والمروة غير واجب، وليس ذلك بمقصود، بل الآية نزلت لأنّ المسلمين شعروا بالحرج النفسي، لأنّ أهل الجاهليّة كانوا يسعون بين الصفا والمروة وعلى كل منهما صنم يقدسونه، فنزلت الآية لرفع مثل هذا الحرج.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ
ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا
بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

آل عمران: ٣٥ - ٣٦

القاعدة السادسة: الحذر من الإسرائيليات

- تعريف الإسرائيليات:

هي حكايات منقولة عن اليهود وكتبهم إلى كتب التفسير، وفيها تفاصيل لحكايات وأحداث لم يقم القرآن الكريم بتفصيلها، مثل:

١- تحديد نوع الشجرة التي أكل منها آدم (عليه السلام).

٢- وأسماء الحيوانات التي حملها نوح (عليه السلام) في سفينته.

٣- وحكايات تفصيلية من حياة الرسل السابقين وأحداث تاريخية وكونية.

ولابدّ من الحذر من هذه الإسرائيليات وعدم الاعتماد عليها في التفسير:

١- خاصة وأنّ منها ما يخالف عموم القرآن الكريم ويعارض العقل والمنطق السليم.

٢- فضلاً عن أن العناية بمثل هذه الحكايات التفصيليّة يخالف منهج القرآن الكريم الذي لا يحفل بالتفصيلات غير المهمة. ولو كان في تلك التفصيلات فائدة لما أغفلها القرآن الكريم.

٣- وقد تنبّه عدد من المفسرين إلى خطر هذه الإسرائيليات وضرورة تنقية كتب التفسير منها.

خامساً: ترجمة القرآن الكريم

هناك طريقتان لترجمة أيّ نصّ من لغة إلى لغة أخرى:

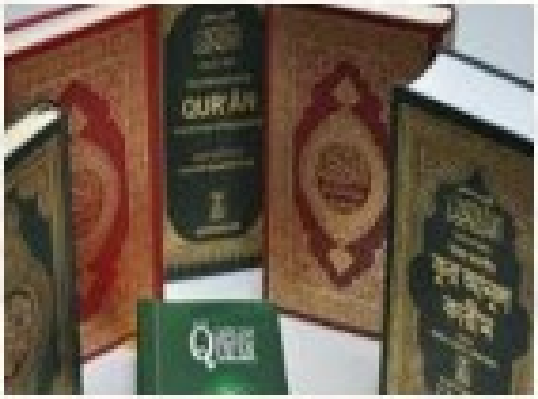

الترجمة الحرفيّة

- وتقوم على نقل نص من لغة إلى أخرى ، مع الاحتفاظ بكل ما في النص الأصلي من دلالات ومزايا لغوية في الأسلوب والنظم.

الترجمة التفسيريّة

- وتقوم على نقل المعنى العام لنص ما من لغة إلى أخرى.

الترجمة التفسيرية مطلوبة شرعاً لأنها:

- ١- تنقل معاني القرآن الكريم إلى غير الناطقين باللغة العربية، وذلك يساعد على انتشار الدين وعموم الخبر للعالمين.
- ٢- وهي في الحقيقة تفسير للقرآن الكريم لكن بلغة غير العربية، وهي أشبه ما تكون، بأن يأتي مترجم إلى كلام ابن كثير في تفسيره مثلاً، فينقله إلى الإنجليزية، ولذلك من الأدق أن يُطلق على هذه الترجمة تعبير (ترجمة معاني القرآن الكريم) لئلا يُظن أنها ترجمة حرفيّة للقرآن الكريم.

أما الترجمة الحرفية فهي محرمة شرعاً باتفاق العلماء، بل هي غير ممكنة أصلاً، ولا يمكن أن نعدّها كلاماً إلهياً مقدساً ، وذلك لأسباب من أهمها :

- **١-** إنّ ألفاظ القرآن الكريم ذات دلالات دقيقة، وقد لا يصل المترجم إلى المعنى الدقيق، أو قد يُخطئ في فهمه، أو في انتقاء الألفاظ الدقيقة للتعبير عنه. وقد لا يوجد في اللغة المترجم إليها ألفاظ مقابلة تعطي الدلالات الدقيقة لتلك الألفاظ العربية في النص القرآني، خاصة وأنّ اللغة العربية هي أوسع اللغات في التعبير.
- **٢-** إنّ أية لغة تشتمل على المجاز والكنايات والاستعارات التي لا يمكن ترجمتها حرفياً إلى لغة أخرى، خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٩) ، فالآية فيها كناية عن الإسراف والبخل، ولو تُرجمت حرفياً، لما فهم المتحدّث باللغة المترجم إليها المعنيين المذكورين منها.

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٩)

ولا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيّقًا على نفسك وأهلك والمحتاجين، ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك، فتقعد ملومًا يلومك الناس ويذمونك، نادمًا على تبذيرك وضياع مالك.

Do not tie your hand to your neck nor stretch without any restraint lest you should become blameworthy and left destitute.

أفكر: ما مدى إمكانية الترجمة الحرفية لقوله تعالى:

﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ ﴿١٠﴾ ﴾ القصص: ١٠

والفؤاد مستعمل في معنى العقل واللب .

والفراغ مجازي . ومعنى « فراغ العقل من أمر »: أنه مجاز عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواء مجازياً ، أي: ترك التفكير فيه .

ولأن الآية لم تذكر لماذا أصبح فؤاد أم موسى فارغاً احتملت الآية معاني اختلف المفسرون في ذلك قديماً على قولين:

الأول: يؤذن بثبات أم موسى ورباطة جأشها : بمعنى: أنه فارغ من الخوف والحزن فأصبحت واثقة بحسن عاقبته تبعاً لما ألهمها من أن لا تخاف ولا تحزن ، يدل عليه قوله تعالى بعد { لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين } لأن ذلك الربط من توابع ما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن . فالمعنى أنها لما ألقته في اليم - كما ألهمها الله - زال عنها ما كانت تخافه عليه من الظهور عليه عندها وقتله؛ لأنها لمّا تمكنت من إلقائه في اليم ولم يشعر بها أحد قد علمت أنه نجا . وهذا المحمل يساعده أيضاً ما شاع من قولهم : فلان خلي البال : إذا كان لا همّ بقلبه . وهو من معنى الثناء عليها بثباتها . وعن ابن عباس من طرق شتى أنه قال : فارغاً من كل شيء إلا ذكر موسى .

والثاني: يؤذن بتطرّق الضعف والشك إلى نفسها : ومعنى الفراغ هو ذهاب العقل ، حيث أصبح فارغاً من تذكر الوعد الذي وعدها الله إذ خامرها خاطر شيطاني فقالت في نفسها : إني خفت عليه من القتل فألقيته بيدي في يد العدو الذي أمر بقتله .قال ابن عطية : وقالت فرقة : فارغاً من الصبر ولعله يعني من الصبر على فقده.

سادساً: إعجاز القرآن الكريم

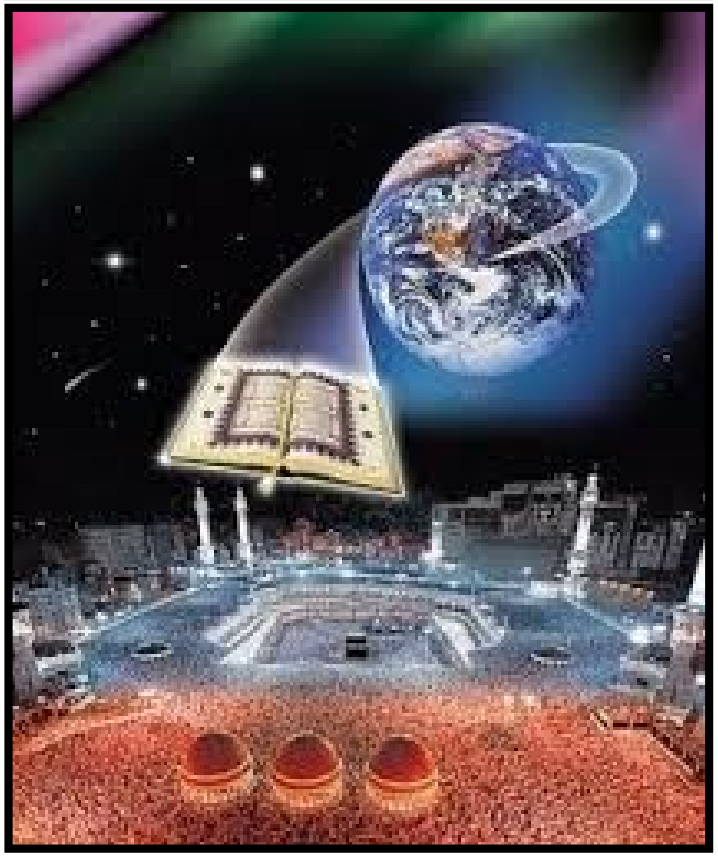

- إن القران الكريم هو كتاب الله تعالى المعجِز الذي لا يستطيع البشر ان يأتوا بمثله.
- المعجزة :هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة
- وقد تحدّى الله تعالى الناس أن يأتوا بمثل القران الكريم فعجزوا، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، وكان آخر ذلك التحدي أن تحداهم بسورة من مثله فعجزوا، قال تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣
- ووجوه إعجاز القران الكريم كثيرة ومتنوعة ، نعرض بإيجاز لثلاثة أنواع منها، هي:
  ١- الاعجاز البياني
  ٢- الاعجاز الغيبي
  ٣- الاعجاز العلمي

أوّلاً: الإعجاز البياني في القرآن

أولاً: الإعجاز البياني في القرآن الكريم

تعريف الإعجاز البياني: أيّ ان تراكيب القرآن الكريم وأساليبه في التعبير وفي استخدام الألفاظ ، على درجة من الدقة والبلاغة والجمال والإبداع، تأخذ بالألباب وتَبهر العقول، وهو ما ادركه أهل اللغة والفصاحة والبيان من العرب قديماً، ومن أمثلة ذلك:

١- فها هو **جبير بن مطعم** رضي الله عنه يقول: سمعتُ النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور حتى انتهى إلى قوله: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الطور، ٣٥ – ٣٧) قال : « كاد قلبي ان يطير».

٢- **وعمر بن الخطاب** رضي الله عنه لمّا سمع سورة طه أعلن إسلامه، رغم ما كان منه من عداوة شديدة للإسلام وأهله.

٣- **كان أحد سادة قريش والمشهورين فيها بالفصاحة والبلاغة**، حينما سمع القران الكريم، عبّر عن ذهوله ممّا سمع قائلاً: « والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإن اسفله لمغدق، وإنّ اعلاه لمثمر، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، وإنه يحطّم ما تحته، سمعت قولاً يأخذ القلوب ».

وقد وصل الأمر بالكفار من العرب حينها الى :

١- أن تواصَوا بتجنّب سماع القرآن الكريم، لِما له من تأثير مذهل يفوق تاثير السحر، وليس بسحر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ (فصّلت: ٢٦)

٢- بل لقد آثروا خوض حروب طاحنة وطويلة مع المسلمين، ذهبت فيها أنفسهم وأموالهم وأولادهم، على أن يحاولوا الإتيان بمثل سورة واحدة منه .

أتأمل: إن التحدي بالإتيان بسورة، هو في الحقيقة تحدٍّ بعشر كلمات فقط، لأنّ أقصر سورة في القرآن الكريم ، وهي سورة الكوثر تتكوّن من عشر كلمات.

إنا أعطيناك -أيها النبي الكريم- الخير الكثير العظيم في الدنيا من النصر والظفر، وفي الآخرة نهر الكوثر أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، حافتاه اللؤلؤ، وطينته المسك، وهذا الكوثر كرامة لك خاصة، لما لك عند الله من مكانة.

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

١- ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (البقرة، ١٧٩)

أيّ: أنّ الانسان عندما يعلم بأن القاتل سوف يُقتل فانه لن يقدم على القتل ، وكانت العرب تعبّرعن هذا المعنى بقولهم: (القتل انفى للقتل).

وقد أبرز العلماء بلاغة عبارة القران الكريم على عبارة العرب بأكثر من عشرين وجهاً، منها :

١- أنّ التعبير بالحياة أوقع في النفس من التعبير بالقتل الذي يُشعر بالوحشة.

٢- أنه ليس كل قتل فيه حياة كما يفهم من عبارة العرب وانما هو قتل معين هو القصاص

٣- أنّ عبارة العرب كرّرت لفظة (القتل) مرّتين، بينما خلت عبارة القران الكريم من التكرار.

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

٢ـ قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٣)

وقد تحدّثت الآية عن سببين لرفع العذاب:

١ـ وجود الرسول ﷺ بين الناس : مؤقتاً الى أن يحين أجله .

← عبّر عنه بالفعل الذي يفيد التوقيت بالزمان « ليعذبهم» .

٢ـ واستغفار الناس : وهو باقٍ الى يوم القيامة.

← عبّر عنه بالإسم الذي يفيد الثبوت والاستقرار « معذبهم » .

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

٣ـ قوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨

وقوله تعالى :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

النور: ٢

فقد قدّم الرجل في الأولى، لأنّ السرقة في الرجال أكثر، وقدم المرأة في الثانية، لأن المرأة هي التي تدعو إلى الزنا بالإغراء وعرض المفاتن.

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

٤- ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِئٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

(عبس: ٣٣ – ٣٧)

﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

(المعارج: ١١ – ١٥)

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

والسؤال هنا:

- أنه لِمَ بدأ في (عبس) بذكر الأخ، فالأم، فالأب، فالصاحبة، ثمّ الابناء؟ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾

- وفي (المعارج) عَكسَ، فبدأ بالأبناء، فالصاحبة، فالأخ، فالفصيلة، ثمّ أهل الارض؟

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

والجواب :

- أن الحديث في (عبس)عن الفرار وقت الحشر

والإنسان يفر من الأباعد أولاً، ثم ينتهي بألصق الناس به، والأخ ابعد المذكورين ، وأما الصقهم بالمرء فزوجته وأبنائه، الذين يأوي إليهم في حياته كل يوم ، وهو بأولاده أشد ارتباط وتعلّق منه بزوجته.

- وأمّا في (المعارج) فالحديث عن موقف حرج جداً بعد القضاء واقتراب التنفيذ، وقد جيء بالمجرم ليقذف به في الجحيم

فإنّ المجرم في تلك اللحظة يودّ لو يفتدي من ذلك العذاب بأقرب الناس إلى قلبه، فبدأ بالأقرب: ابنه ، ثم الأبعد فالأبعد، وفي ذلك دلالة على هول العذاب، حتى ليستعد المجرم للتضحية بأقرب الناس إليه.

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

٥ـ قوله تعالى:

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ٣١ ﴾
الحج: ٣١

في الآية الكريمة تصوير دقيق لما يكون عليه المشرك من ضياع وتشتت وتمزّق وتصوير لعاقبته الوخيمة.

ولنترك الكلام لسيد قطب، رائد التصوير الفني في القرآن الكريم، يوضح هذه الصورة الفنية الرائعة التي يرسمها القرآن الكريم لنفس المشرك، يقول:

« إنه مشهد الهوي من شاهق « فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ » وفي مثل لمح البصر يتمزّق « فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ » أو تقذف به الريح بعيداً عن الأنظار « أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» في هوّة ليس لها قرار.

١ـ والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها، وتعاقب خطواتها :
في اللفظ : بالفاء.
وفي المنظر : بسرعة الاختفاء.

٢ـ وهي صورة صادقة لحـــال من يشرك بالله ، فيهوي من أفـــق الإيمان السامق، إلى حيث الفناء والانطواء، إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها (قاعدة التوحيد)، ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه:
فتخطفه الأهواء تخطّف الجوارح.
وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح.
وهو لا يمسك بالعـــروة الوثقى، ولا يستقرّ على القاعدة الثابتة التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه.» انتهى كلام سيد قطب.

٣ـ ويقول أحد الباحثين: « ثمّ إنّ صـــوت القاف في (سحيق) والصـــوت الذي يلحقه نتيجة القلقلـــة، يرصدان لحظة ارتطام جسم المشرك بالأرض في نهاية الهوي».

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

٦- ولصوت اللفظ وجرسه شأنه في القرآن الكريم:

يقول سيد قطب: « وقد يستقل لفظ واحد لا عبارة كاملة برسم صورة شاخصة،...، تارة بجرسه الذي يلقيه في الآذان ، وتارة بظلّه الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعاً :

(المثال الأول): تسمع الأذن كلمة (اثاقلتم)، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾التوبة: ٣٨ ، فيتصور الخيال ذلك الجسم المثّاقل ، يرفعه الرافعون في جهد ، فيسقط من ايديهم في ثقل ، إن في هذه الكلمة (طنّاً) على الأقل من الأثقال! ولو انك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس، ولضَاعَ الاثر المنشود، ولتَوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ ، واستقلّ برسمها.

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

(المثال الثاني): وتقرأ ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ النساء: ٧٢

فترتسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها وفي جرس (ليبطئن) خاصة، وإنّ اللسان ليَكاد يتعثّر، وهو يتخبّط فيها، حتى يصل ببطء الى آخرها ...،

(المثال الثالث): فإذا سمعت: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ۚ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

البقرة: ٩٦ ، صورت لك كلمة (بمزحزحه)، المقدمة في التعبير على الفاعل لإبرازها ، صورة الزحزحة المعروفة كاملة متحركة، من وراء هذه اللفظة المفردة.

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

النساء: ٧٢ - ٧٣

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ۚ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

البقرة: ٩٦

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

(المثال الرابع): وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ٩٤ - ٩٥ ، فكلمة (كبكبوا) يحدث جرسها صوت الحركة التي تتم بها.

(المثال الخامس): ونوع آخر من تصوير الألفاظ بجرسها ، يبدو في سورة الناس : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ١ – ٦

اقراها متوالية، تجد صوتك يحدث (وسوسة) كاملة تناسب جو السورة ، جو وسوسة « الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس» انتهى كلام سيد قطب

- (المثال السادس): « والإمالة كذلك تعكس تناسقاً دقيقاً بين البنية والدلالة، يتضح هذا التنسيق الصوتي الدلالي في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ هود: ٤١
- فالإمالة في (مَجۡرٖىٰهَا)، ترسم الصورة المتأرجحة للسفينة، وهي تمخر عباب البحر ،...أما قوله: (وَمُرۡسَىٰهَآ) ، فالبنية الصوتية لهذه اللفظة، ترسم صورة السفينة في حال استقرارها على سطح مستو» .

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

٧- وللإيقاع قصته في القرآن الكريم:

يقول سيد قطب: (انّ في القرآن الكريم إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع ، يتناسق مع الجوّ ويؤدي وظيفة أساسية في البيان ، وحيثما تلا الإنسان القرآن أحسّ بذلك الايقاع الداخلي في سياقه وها نحن أولاء نتلو سورة النجم مثلاً:

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤
عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ
أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ
نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ
وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠
أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ ﴾ النجم: ١ - ٢٢

من الأمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم

هذه فواصل متساوية في الوزن تقريباً ، على نظام غير نظام الشعر العربي ، متّحدة في حرف التقفية تماماً، ذات ايقاع موسيقي متحد، والايقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعاً لتوسط الجملة الموسيقية في الطول ، متحد تبعاً لتوحد الأسلوب الموسيقي ، مسترسل الرويّ كجوّ الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي.

- فلو انك قلت: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة) لاختلّت القافية وتأثر الايقاع.
- ولو قلت: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الأخرى) فالوزن يختل.
- وكذلك قوله: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) فلو قلت : ألكم الذكر وله الانثى؟ تلك قسمة ضيزى لاختل الايقاع المستقيم بكلمة (إذاً).

ولنختم الإعجاز البياني، ببعض من وجوه كثيرة ذكرها العلامة رحمة الله الهندي، تؤكد أنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلام بشر، ومن أهم ما ذكره في ذلك:

١- الكلام الفصيح إنمّا يتفق في القصيدة في البيت والبيتين، والباقي لا يكون كذلك، بخلاف القرآن، فإنّه مع طوله، فصيح كله، يعجز الخلق عن مثله.

٢- إذا كرّر الشاعر أو الكاتب فكرة أو قصة، لا يكون كلامه الثاني من حيث مستوى البلاغة مثل كلامه الأول، وقد تكررت في القرآن الكريم قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهية، واختلفت العبارات عنها إيجازاً وإطناباً، وتفنناً في بيانها غيبة وخطاباً، ومع ذلك جاء كل واحد منها في غاية الفصاحة.

٣- دارت مواضيع القرآن الكريم حول: ترسيخ مبادئ العقيدة الصحيحة، وبيان العبادات والتشريعات، وتحريم القبائح، والحثّ على مكارم الأخلاق، واختيار الآخرة والعمل لها، وذلك كله بأسلوب فصيح بليغ، يسحر الألباب والعقول،

ولذلك إذا قيل لشاعر فصيح أو كاتب بليغ، أن يكتب تسعاً أو عشراً من مسائل الفقه أو العقائد في عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة، فإنّه يعجز.

ثانياً: الإعجاز الغيبي في القرآن

٢- الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

- **المقصود بالإعجاز الغيبي في القرآن الكريم:** أخبر القرآن الكريم عن أحداث قبل وقوعها، ثم حصلت لاحقاً كما أوردها القرآن الكريم من غير زيادة ولا نقص.
- **ومن أمثلة ذلك:**

١- إخباره الناس بأنّ الروم الذين هُزِموا أمام الفرس سيعاودون الانتصار على الفرس في بضع سنين، وهو ما حصل فعلاً كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز.

٢- الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

- **ومن أمثلة ذلك:**

٢- ذلك فضلاً عن إخباره عن أمور سابقة من الأمم الغابرة لم يكن يعرفها لا النبي ﷺ ولا قومه من قبل أن تتنزل عليه في القرآن الكريم.

٣- ويلحق بذلك أيضاً إخباره عن أشياء حصلت بالسر بين اثنين لا ثالث لهما، بل وإخباره عن أشياء لا زالت في صدور أصحابها ولم يبوحوا بها لأحدٍ قط.

والأمثلة على الإعجاز الغيبي في القرآن كثيرة، بل ومتجددة، فالقرآن لا يَخلَق على كَثرة الرد، وفي كل يوم نكتشف فيه معاني جديد وأشياء غير معهودة.

والسؤال هنا:

مِن أينَ للنبي ﷺ أن يعلمَ بكل ذلك، لولا الوحي الذي تنزّل عليه بالقرآن من الله تعالى، فهو وحده، سبحانه، الذي يعلم السرّ وأخفى، وهو علّام الغيوب، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، ويعلم خائنة الأنفس وما تُخفي الصدور، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثالثاً: الإعجاز العلمي في القرآن

٣- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

- **المقصود بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم:** هو إخباره بحقائق علمية، أتت الاكتشافات العلميّة الحديثة تؤكّد صحّتها.
- **والقرآن الكريم كتاب هداية للبشر وليس كتاباً متخصصاً في العلوم الحديثة،** وإنّما وردت إشارات الإعجاز العلمي فيه، ليتبيّن كل إنسان أنه تنزيل من حكيم حميد، إذ لا يستطيع الإخبار عن الحقائق العلمية في الكون والانسان، وقبل أن يكتشفها الإنسان بقرون متطاولة، إلا الخالق سبحانه.

وإشارات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كثيرة، نعرض نماذج منها:

١- خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ (السجدة: ٧ – ٨) **واستخدام لفظة « سلالة » ينطوي على إعجاز علمي؛ لأنّ من معاني هذه اللفظة في اللغة : الخلاصة.**

ومن الثابت علمياً الأن، أنّ الإنسان يخلق من خلاصة مصطفاة، إذ إنّ الدفقة الواحدة من المني، تحمل ٢٠٠ مليون حيوان منوي على الأقل، يفلح حيوان منوي واحد منها فقط في الوصول إلى قناة الرحم، ليلتقي بالبويضة ويلقحها، بينما تهلك الحيوانات المنوية الأخرى في الطريق.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ (النجم: ٤٥ – ٤٦)

فالذكورة والأنوثة وفق العلم الحديث يحددها الحيوان المنوي حسب ما يحمله من شارة الأنوثة أو الذكورة:

١- فإذا أراد الله تعالى أن يخلق ذكراً جعل الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الذكر (Y)هو الذي يلقح البييضة.

٢- وإذا أراد أن يخلق أنثى: جعل الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الأنثى (X)هو الذي يلقح البييضة.

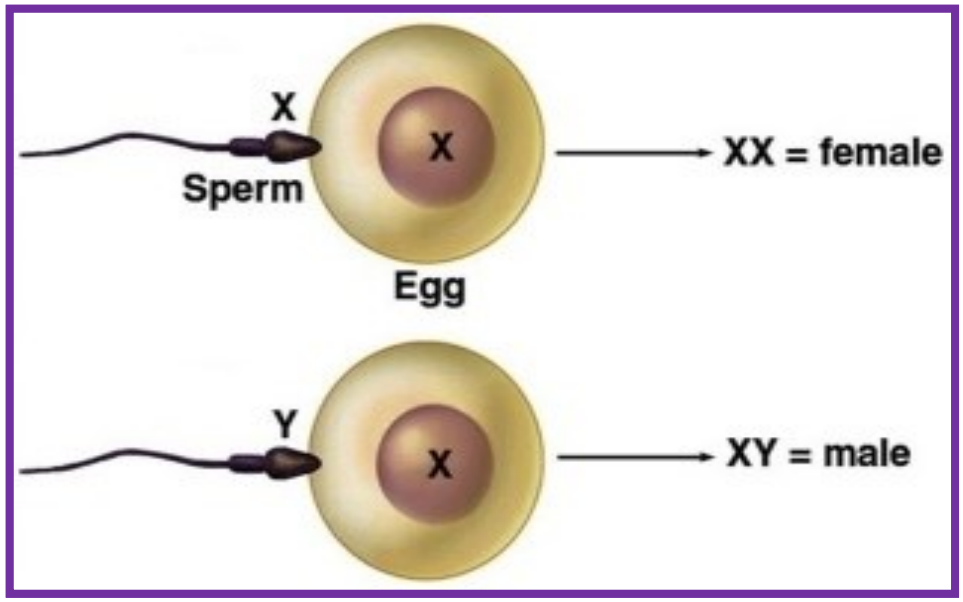

٢- دوران الأرض وكرويتها

فالآية الكريمة تقرر ما أكّده العلم الحديث، من أنّ الأرض مع كلّ ما يخضع لجاذبيتها مثل الجبال والبحار وغلافها الجوّي، تدور بسرعة، كما يمرّ السحاب، وذلك على خلاف ما يظهر للرائي، من أنّ الأرض ثابتة وأنّ السحاب هو فقط الذي يسير.

http://www.kaheel7.com/ar/index.php/18/648-2012-12-17-01-56-06

يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ

والتكوير معناه: لفّ شيء على آخر في اتجاه مستدير كروي، وفي هذا إشارة واضحة إلى كرويّة الأرض.

٣- الحديد

ففي هذه الآية الكريمة عبّر بلفظ (وأنزلنا)، والإنزال يكون من أعلى لأسفل، وهذا ما أكّده العلم الحديث، حيث ثبت أنّ الحديد الذي يشكّل حوالي ٣٦% من كتلة الأرض ليس جزءاً أصيلاً منها، وإنما رُجِمت الأرض بعد انفصالها عن الشمس، بوابل من النيازك الحديديّة، والحديد، بحكم كثافته العالية، تحرّك معظمه إلى لبّ الأرض واستقرّ في جوفها.

https://www.youtube.com/watch?v=4woz7TlEDSU

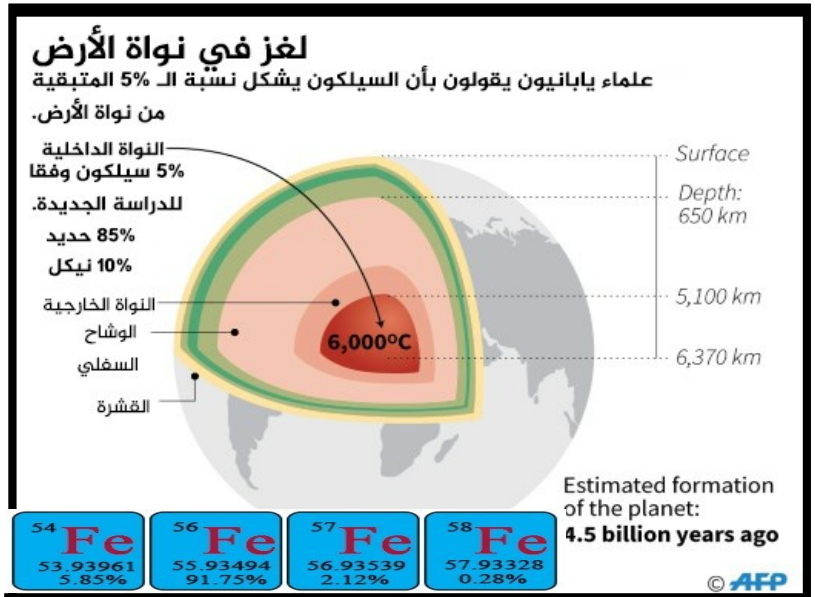

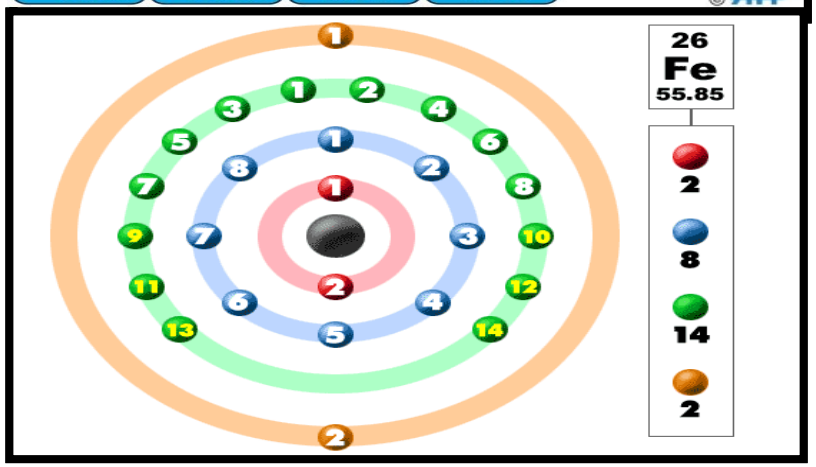

وقولـه: (بـأس شـديد) فيـه إعجـاز علمـي أيضـاً ، فقد ثبت علميـاً أنّ نواة ذرة الحديد هي أقوى النوى رابطـة وتماسـكاً، حيـث لا توجـد ذرة أو نـواة فـي شـدة تماسـكها، وتحتـاج نـواة الحديـد إلـى طاقـة هائلـة لتفتيتهـا أو الإضـافة إليهـا، ولـذلك فـإنّ الحديـد هـو عصـب الصـناعات الثقيلـة فـي حيـاة الإنسان.

أتأمّل: رقم سورة الحديد في ترتيب سور القرآن ٥٧، وهو الوزن الذري ذاته، لأحد نظائر الحديد!

http://kaheel7.com/pdetails.php?id=717

٤- الجبال

فقد وصفت الآية الكريمة، وقبل ما يزيد على 1400 سنة، الجبال بأنها (أوتاد)، وهي لفظة واحدة، ولكنّها معجزة، إذ الوتد يدفن أغلبه في الأرض، وأقله يظهر على السطح، ووظيفته التثبيت، وهي طبيعة ووظيفة الجبال كما كشف عنها العلم الحديث.

فقد كشف العلم أنّ كلّ نتوء على الأرض فوق مستوى سطح البحر، له امتداد داخل الغلاف الصخري للأرض بأضعاف طوله الخارجي.

والجبال لها جذور عميقة تخترق الغلاف الصخري للأرض بالكامل ، وتصل إلى نطاق الضِّعف الأرضي شبه المنصهر، وهو ما يثبّتُ الأرض، ويجعلها متّزنة.

٥- خلق السماوات والأرض

قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، لخّص لنا القرآن بدقة وإعجاز، مراحل خلق السماوات والأرض، وإفنائهما، وإعادة خلقهما من جديد، في خمس آيات من القرآن الكريم، وعلى وفق أحدث تفسير وصلت إليه نظريّات علم الفلك والفيزياء في العصر الحديث، ونتناول هذه الآيات الكريمات:

انتبه: نحن لا نجزم بتفسير القرآن وِفق **النظريّات العِلميّة**، لإمكان عدم صحة تلك النظريات، فتبقى من باب الاحتمال لا أكثر من ذلك، أمّا **الحقائق الثابتة** قطعاً ويقيناً، فتصلح للاستدلال بها.

الآية الأولى:

(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء، ٣٠)

تشير هذه الآية بوضوح تام، وقبل أن يكتشف ذلك أيّ عالم، إلى أنّ السماوات والأرض كانتا ملتحمتين معاً، ثم فتقهما الله تعالى.

والنظريّة الحديثة في نشوء الكون تقرر: أنّ كلّ صور المادة والطاقة كانت تلتقي في نقطة واحدة، هي جرم ابتدائي أوّلي، ذو حجم لا نهاية له في الصغر، ثمّ حدث لهذا الجرم انفجار عظيم، بسبب تغلّب قوى الدفع للخارج على قوى الجذب للداخل، وهو ما يعرف اليوم بالانفجار الكوني الكبير.

الآية الثانية:

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ﴿فصلت: ١١﴾

تقول النظريّات العلميّة : أنّه عند انفجار ذلك «الجرم الابتدائي» نتجَ عن ذلك ما يُعرف بسحابة الدخان الكوني.

وانتقلت حرارة الجرم الهائلة الى ذلك الدخان ممّا أدى الى عدد من التفاعلات النووية تكوّنت منها العناصر الأولية كالهيدروجين والهيليوم ، ثمّ تكدّس (تراكم) ذلك الدخان بسبب التبرّد المستمر له على هيئة سُدم كونية هائلة تكوّنت منها الكواكب والنجوم.

الآية الثالثة:

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) ﴿الذاريات:٤٧﴾

تشير النظريات العلمية الحديثة إلى: ان الكون ومنذ لحظة انفجاره وحتى يومنا هذا هو في توسع مستمر، وأنّ المجرات تتحرك بسرعات فائقة متباعدة بعضها عن بعض وعن مجرتنا.

الآية الرابعة:

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿ الأنبياء، ١٠٤)

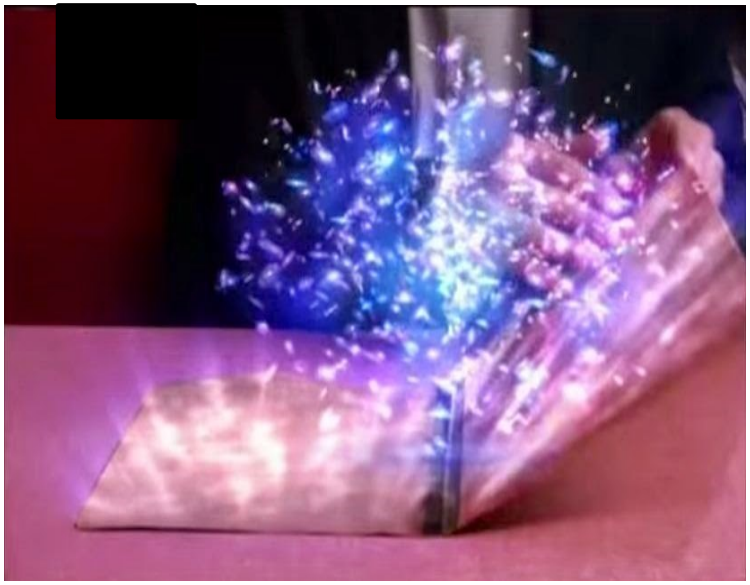

تتحدث الآية هنا عن طيّ الكون وإعادة الخلق كما بدأ ، وتشير النظريات العلمية الحديثة إلى أنّ قوة الدفع إلى الخارج التي أحدثت الانفجار الكوني المذكور هي في تباطؤ مستمر.

وفي مرحلة معينة ستتغلب قوى الجذب إلى الداخل على قوى الدفع إلى الخارج ، وهو ما سيؤدي إلى توقف هذا التوسع وعودة الوضع إلى حالة الأولى قبل الانفجار كي يتكدس الكون مرة أخرى في جرم واحد كهيئة جرم ابتدائي الأول، وهو ما يسميه الفلكيون بمرحلة الانسحاق الشديد.

الآية الخامسة:

(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)

(إبراهيم ، ٤٨)

وهنا يخبر القران الكريم أنّه سوف تتكرّر عمليّة الخلق لتكوين أرض غير أرضنا وسماء غير سمائنا ، لتبدأ حياة أخرى هي الدار الآخرة. وقد يكون ذلك بانفجار كوني جديد، أو بأي طريق من عجائب خلقة سبحانه وقدرته.

٦- العنكبوت

- ففي قوله تعالى: **(اتَّخَذَتْ)** إشارة الى ما توصّل اليه العلم من أنّ الذي يبني البيت هو أنثى العنكبوت و ليس الذكر؛ فالأنثى هي التي تحمل في جسدها غدد إفراز المادة الحريريّة التي يُنسج منها بيت العنكبوت.

- وقوله تعالى: **(أَوْهَنَ الْبُيُوتِ)** إشارة الى أن بيت العنكبوت أضعف البيوت من الناحية المادية و المعنوية.

(١) فهو من الناحية المادية: لا يقي ساكنة حرارة شمس ولا زمهرير برد ولا مطر شتاء ولا عصف ريح ولا مهاجمة عدو .

(٢) ومن الناحية المعنوية: وجد العلماء أن الرابطة الأسرية في هذا البيت أو هي ما تكون و تنقصها المودة و الرحمة و العطف فالأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح كما أنّها تأكل أولادها بعد الفقس و الأولاد يأكل بعضهم بعضاً .

أتأمل: يعد الخيط من حريرٍ العنكبوت واحداً من أقوى المواد الموجودة في الأرض وله قدرة هائلة على تحمل الشد و يفوق قوته ثلاث مرات قوة المادة التي تصنع منها السترة الواقية من الرصاص و لذلك قوله تعالى:
(أوهن البيوت) و لم يقل :(أوهن الخيوط) .

- ثم إن التعقيب بعبارة **(لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** إشارة الى أن الحقائق العلمية التي تضمنتها الآية الكريمة والتي لم يكشف عنها الا العلم الحديث.

٧- الذباب

و قد تضمّنت الآية إشارات علميّة عديدة، منها :

١- ما تضمنه قوله تعالى :(وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا) فالسلب هو: الاختلاس و الذباب يختلس ما يأخذه اختلاساً على وجه القهر. فقد كشف العلم الحديث أن حركات الذبابة على درجة كبيرة من التعقيد تمكنها من هذا السلب. فالذبابة لها القدرة على الاقلاع عمودياً مع القدرة على المناورة بالحركات الأمامية و الخلفيّة و الجانبيّة بسرعة فائقة و يساعد الذبابة على هذا طبيعة أجنحتها و عضلاتها و ما تحمله من شعيرات توجه الأجنحة في الاتجاه الصحيح .

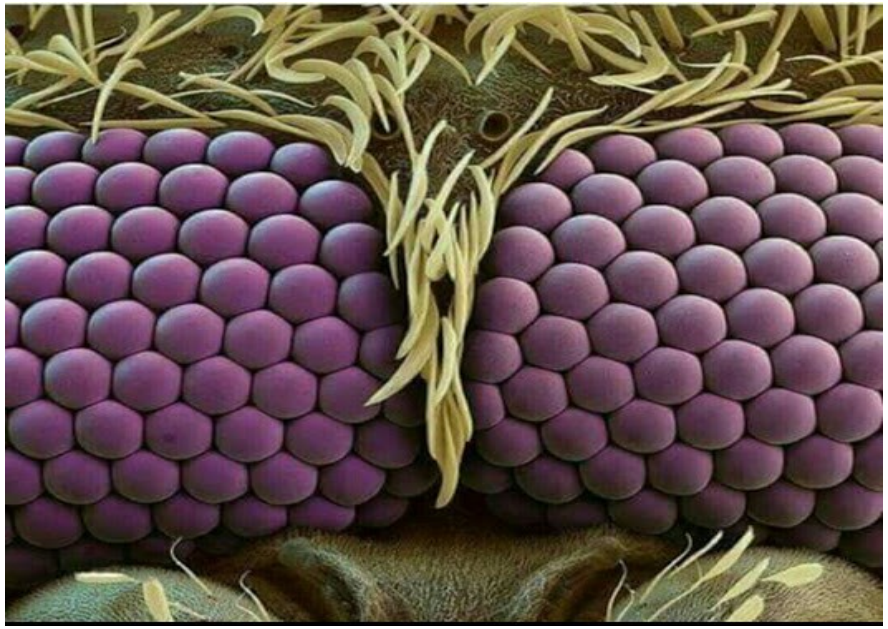

ويعين الذبابة في ذلك أيضاً عينان لا يزيد حجم الواحدة منهما على نصف المليمتر المكعب وتتكون كل عين منهما من ستة آلاف عين سداسية لها القدرة على الرؤية في جميع الاتجاهات ومجموع الخيوط العصبية في العين الواحدة يقدر بـِ ٤٨ ألف خيط عصبي يمكنها معالجة أكثر من ١٠٠ صورة في الثانية بالإضافة الى مليون خليّة عصبية متخصِّصة بالتحكّم في حركة الذبابة.

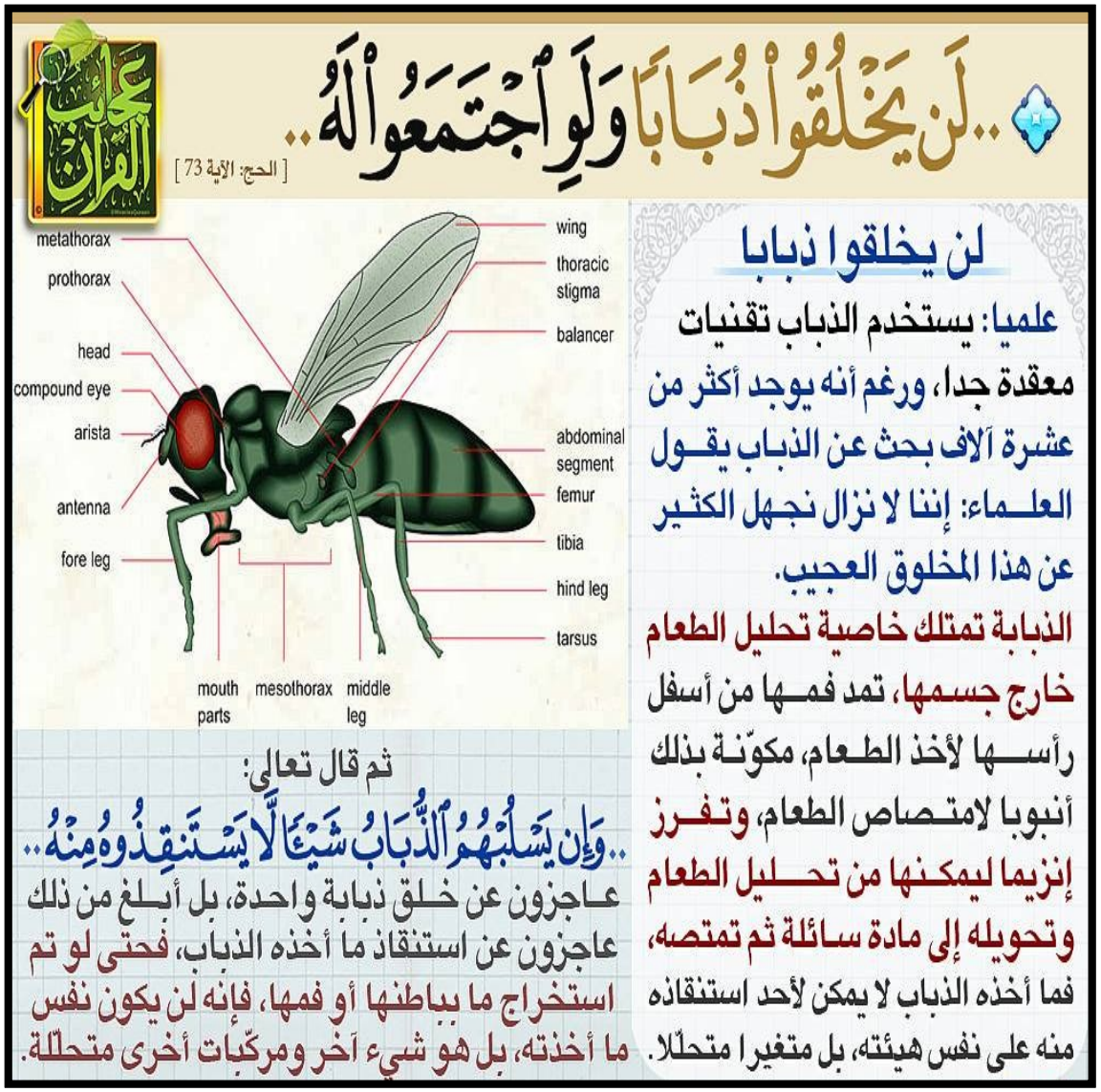

https://www.youtube.com/watch?v=KrL3qI2Qg-Q

٢- ما تضمّنه قوله تعالى: **(لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ)** ففي ذلك إشارة إلى ما توصل إليه العلم الحديث من أن الذبابة تقوم بامتصاص الشراب و الطعام بسرعة فائقة، و ذلك بإفراز عدد من الانزيمات والعصائر الهاضمة القادرة على هضمه و إرساله الى جهازها الدوري ثمّ الى مختلف خلايا جسمها في ثوانٍ معدودة و بذلك لا يمكن استرجاعه منها.